2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

أنماط حياة المرأة في ليبيا خلال العصر الوسيط ق5-10م/4هـ.

د. أسامة عبد الحميد وريث
محاضر بقسم التاريخ والدراسات التاريخية بكلية الآداب – جامعة مصراته
osama.owrayeth@art.misuratau.edu.ly

ملخص البحث:

إن دراسة نمط حياة المرأة تاريخيًا ليس بالشيء الهين، خصوصًا خلال فترات انتقالية وثنية/مسيحية/إسلامية، في ليبيا بدايات العصر الوسيط، حيث بات للمرأة الليبية نظام زواج محدد، تمثل في وجود رجل إلى جانب عدد من الزوجات، وهو ما لم يكن كذلك خلال القرون السابقة، بحيث كان الزواج اعتباطيًا. فقد فرضت أساليب المعيشة الريفية – البدوية لعدد من القبائل والجماعات نسقها على حياة المرأة، بحيث كانت النسوة يخرجن خلف الرجال سلمًا وحربًا حتى في ساحات المعارك، متحصنات داخل حلقة مطوقة بسياج من الماشية والإبل المربوطة إلى بعضها بإحكام، بدعوى منع تشكيلات الفرسان للخصوم من اختراق السياج العائلي، وهو إجراء كان فعالًا خلال الفترة الفاندالية بالقرن 5م، لكنه لم يكن كذلك خلال العهد البيزنطي بالقرن 6م، مما دعا النسوة وأطفالهن إلى دفع ثمن باهض تمثل في أخذهن أسيرات معركة تلو معركة، وسنلحظ وجود دور كهنوتي مارسته المرأة الليبية كزعيمة دينية خلال القرنين 5-6م من الفترات الوندالية والبيزنطية، نفس الدور مارسته الزعيمة الأمازيغية المكناة بالداهية خلال الفتوح الإسلامية بأواخر القرن 7م، مما يوحي بانتشار نفس الثقافة الميثولوجية في ليبيا وسائر بلاد المغارب.

واهتمام المرأة بالجانب الديني – وإن كان وثنيًا – لم يكن لينقطع حتى بعد الإسلام، إذ نجم عن اعتناق النساء صحبة الأهالي للإسلام، وخصوصًا بمنطقة جبل نفوسة؛ إلى بزوغ جيلٍ من النسوة الصالحات العابدات الذاكرات، ممن سجَّل التاريخ أسماءهن، وشيئًا من أعمالهن.

الكلمات المفتاحية: الزوجة المشاع، المرأة الكاهنة، المرأة الأسيرة، المرأة الصالحة.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

Women's lifestyles in Libya during the Middle Ages 5-10 AD/4 AH.

Dr. Ossama Abdulhameed Owrayeth
Lecturer in the Department of History and Historical Studies, Faculty of Arts, Misrata University

Summary: Studying women's lifestyle historically is not an easy task, especially during the transitional periods of paganism/Christianity/Islam in Libya during the early Middle Ages. Libyan women had a specific marriage system represented by the presence of a man in addition to a number of wives. This was not the case during the previous centuries, when marriage was arbitrary. The nomadic lifestyles of a number of tribes imposed their order on women's lives, such that women would go out behind men in peace and war, even on the battlefields, fortified within a ring surrounded by a fence of cattle and camels tightly tied together, under the pretext of preventing enemy cavalry formations from penetrating the family fence. This procedure was effective during the Vandal period in the 5th century AD, but it was not so during the Byzantine era in the 6th century AD, which prompted women and their children to pay a heavy price represented by being taken prisoner in battle after battle. We will note the presence of a priestly role played by Libyan women as religious leaders during the 5th and 6th centuries AD of the Vandal and Byzantine periods. The same role was played by the Amazigh leader known as Al-Dahiya during the Islamic conquests in the late 7th century AD, which suggests the spread of the same mythological culture in Libya and the rest of the Maghreb.

Women's interest in the religious aspect - even if it was pagan - did not stop even after Islam, as women's conversion to Islam with the locals, especially in the Nafusa Mountain region, resulted in the emergence of a generation of righteous, devout, and remembrance women, whose names and some of their deeds were recorded in history.

Keywords: common wife, priestess woman, captive woman, righteous woman.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

التعريف بالموضوع:

يهتم هذا البحث برصد أنماط حياة المرأة الليبية خلال بدايات العصر الوسيط، ورغم شح المعلومات المصدرية المستقاة وبمشقة من بين متون المصادر، إلا أن ثمة إفادات شافية تضعنا في حالة وعي جيد ومقبول حيال نسق حياة المرأة في ليبيا خلال القرون 5-10م/4هـ. وكما يظهر لي فإن ثمة أساليب وأنماط مختلفة ومتبدلة قد عرفتها النسوة الليبيات خلال مسيرة حياتهن ببدايات العصر الوسيط، فخلال القرون الميلادية الأولى وما قبل، لم يكن للمرأة الليبية زوج محدد، وإنما كانت مرأة مشاع بين الرجال. وخلال القرنين الخامس والسادس بدأت النظام العائلي الثابت والمحدد يتشكل بوجود زوج واحد إلى جانب زوجة أو عشرات الزوجات. وبعد الإسلام صار بالطبيعة للمرأة زوج محدد قطعا ما دامت على ذمته.

على الصعيد الميداني باتت النسوة يرافقن أزواجهن وعائلاتهن سلمًا وحربًا، أعني حتى في ساعات الوغى كانت النساء والفتيات مجبرات بحكم أنماط حياة مجتمعهن البدوي على المسير خلف المحاربين من الرجال إلى ميادين القتال، وهو إجراء سوسيولوجي وفطري نجم عنه ذهاب النساء، والأمهات، والفتيات، والأطفال أسارى في يد الخصوم.

والملاحظ أن المرأة الليبية خلال الفترات الوثنية من بدايات العصر الوسيط: القرنين 5-6م قد أخرجت زعيمة دينية وسياسية لمجتمعها المحلي، تمثل ذلك في ظهور شخصية ودور الكاهنة العرّافة التي تزعم مخاطبة الأقدار والتنبؤ بالتحولات السياسية والمجتمعية، بعد الإسلام ظلت الشخصية نفسها معروفة في من اشتهرت باسم الداهية/الكاهنة. ومع ذيوع الإسلام خرج من النسوة المحليات جماعة من العابدات الزاهدات ممن اشتهرن بالمدارسة والمذاكرة كما سنرى في آخر هذا البحث إن شاء الله.

سبب اختيار الموضوع:

سبب اختيار الموضوع يأتي من منطلق الفراغ الذي تعانيه مراجعنا وأبحاثنا حيال فهم نسق حياة المرأة في ليبيا العصر الوسيط، وهذا الفراغ المعلوماتي يحفّزني على سد الخلل فيه، وملء الحيز الشاغر منه.

أهمية البحث:

- تأتي أهمية البحث في كونه يرصد تاريخًا نسويًا ليبيًا، لا توجد دراسات كافية حوله.
- ويقف على جوانب من حياة المرأة في ليبيا خلال فترة شحيحة المعلومات.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف على سير وأنماط حياة المرأة الليبية في بدايات العصر.
- تحديد المشكلات المجتمعية التي واجهتها النسوة الليبيات.
- التأكد من التأثيرات الدينية التي طرأت على ذهنية المرأة الليبية خلال المراحل الانتقالية الوثنية فالمسيحية فالإسلام

أسئلة البحث:

- كيف كانت طبيعة ونمط الحياة الزوجية في ليبيا خلال القرون الوسطى الأولى من التاريخ المسيحي والإسلامي؟
- هل ثمة شخصيات قيادية في تاريخ النساء الليبيات خلال الفترة المرصودة!؟
- ما هو موقف النساء والفتيات والأطفال من خروج الرجال إلى ميادين القتال؟
- هل كانت النسوة يرافقن رجالهن إلى ساحات الوغى!؟ وما هي نتائج خروجهن !؟
- هل نجد استمراراً لمواقف وشخصيات من النسوة الليبيات بعد الإسلام؟ وكيف؟
- ماذا يعني انخراط المرأة الليبية مبكرًا في الفقه والذكر، والتعبد بعد الإسلام !؟

فرضية البحث:

وسط ظروف من هذا النوع، أفترض بحثيًا بأن نسق المعيشة البدوي لمعظم القبائل قد أجبر النسوة على اختيار القرار الصعب بالانتقال وراء الرجال عندما تجنح القبائل المتحركة نحو نزعة القتال، وهي فرضية تضعنا أمام إشكالية موازية.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية الدراسة بتسليط الضوء على السلك الناظم والغامض حيال قضية تسلح الرجال محاربين/مقاتلين، ومدنيين/أهّليين، وفهم مواقفهم من ظاهرة تأسّر نسائهم: أمهاتهم، وزوجاتهم، وفتياتهم، وأطفالهم في حالات الخسائر الميدانية التي كانوا يتعرضون لها!.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

منهجية البحث:

منهجية البحث تتمحور وفق منهج تحليلي مقارن، أضع من خلاله المعلومة لطرحها ومناقشتها ثم مقاربتها بنمط آخر، أو مقارنتها بظروف مشابهة لها في فترات سابقة ولاحقة.

حدود البحث:

يدور نطاق البحث داخل إطار زمني يبدأ من القرن 5م، وينتهي عند القرن 10ميلادي والذي يوافق القرن 4 هجري. داخل مجال البلاد الليبية، وهو الفضاء المكاني للدراسة.

مصطلحات البحث:

الكاهنة Sacerdos . الداهية تيهيا ماتيا Tehya Matia . المدن الليبية Libycas urbes . المور The Moors Maurorum . الأمة اللانغوانتانية Languantan gentis الأسيرات – الذاكرات – الصالحات.

الدراسات السابقة:

قياسًا بالصعوبة العلمية التي تعترض كثيرًا من بُحّاث أمهات المصادر، فإن الكتابات/الأعمال/الدراسات حول تاريخ مسيرة ونشاط المرأة الليبية، تظل ضئيلة، وقد صادفني أن أحد الباحثين المغاربة، قد وضع مشكورًا بحثًا قصيرًا حول مكانة المرأة النفوسية في العلم، قد ركز في استعراضه هذه المكانة بثلاث ورقات، قُدمت ضمن البحث في أعمال ندوة جامعية مغربية، تحت إطار: " تاريخ النساء المغاربيات: الإقصاء وردات الفعل " من إعداد: مجاني بوبة، وبعنوان: دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من القرن 3-6 هـــ إلى القرن 9-12م قراءة أولية لمخطوط آباضي من القرن 6هـــ/12م، أعمال ندوة: تاريخ النساء المغاربيات: الإقصاء وردات الفعل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، المغرب، 1997، منشورات دار المنظومة 2020.

محاور البحث:

أولًا: النظام الأسري:

1- المرأة في العصر القديم.

2- المرأة في العصر الوسيط.

ثانيًا: ظهور شخصية الكاهنة الليبية خلال القرنين 5-6م:

1- الكاهنة Sacerdos الزعيمة الدينية للبربر الأمازيغ.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

2- مقاربة ميثولوجية في سيرة ومسيرة الكاهنة – الداهية.

ثالثًا: مرافقة النساء المحليات للرجال سلماً وحرباً:

1- خروج النساء خلف الرجال أمام محاربي الفاندال.

2- مرافقة النساء المحليات للرجال سلماً وحرباً بالفترة البيزنطية.

3- تبعات مصاحبة النساء للرجال في ميادين القتال.

4 - مصير النسوة أسيرات الحرب.

رابعًا: التفسير السوسيولوجي لوضع المرأة.

خامسًا: ماهية العناصر المصطحبة لنسائها وأطفالها.

سادسًا: أسباب مرافقة النساء لرجالهن.

سابعا: وضع المرأة في سياق المعاملة الذكورية قبيل الإسلام:

ثامنا: مواقف النساء الليبيات بعد الإسلام:

تاسعا: انخراط المرأة الليبية في الفقه والذكر والتعبد بعد الإسلام:

أنماط حياة المرأة في ليبيا خلال العصر الوسيط ق5-10م/4هـ.

أولًا: النظام الأسري:

1- المرأة في العصر القديم:

بداية؛ لم يكن الزواج المنظم داخل إطار/نظام اجتماعي محدد، ظاهرة معروفة بين الساكنة المحليين خصوصًا من القبائل البدوية خلال العصور السابقة للميلاد، بحيث كان مضاجعة المرأة والاختلاط الجنسي بين الجميع، أمر مشاع بين الرجال والنساء. وقد تحدث Hērodotos عن هذه المظاهر في مآثره حول البشرية وأسفاره العالمية، وهي شواهد قد تحتاج إلى مزيد من التدقيق والبحث/التحري، الذي قد لا يُفضي في النهاية إلى تعارض كبير في التصورات. إذ يفيد أبو التاريخ بأن المكّاي Macae والقرمنتس Garamantes والنسامونيس Nasamones والأوزيس Ausees وغيرهم من القبائل القديمة، يتناسلون بطريقة لا يعرفون معها نظام الزواج في مفهومه الأسري، حتى أنه يبدو كاختلاط جماعي بحسب التروة. وكما نفهم من هيرودوتس لم تكن ثمة ضوابط للاتصال الجنسي تجمع بين الرجال والنساء، لم تعرف الأقوام القديمة في ليبيا – التي عاشت حياة بدائية – نظام العائلة وفكرة وجود زوج

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

إلى جانب زوجة، فنساء الجيندانس Gindanes يرتدين أحزمة جلدية حول كواحل قدميهن، تُعبر عن عدد المختلطين بهن جنسيًا، فنساء " هذا الشعب، يرتدن حول أقدامهم العديد من الأشرطة/الضمادات Bandages وذلك بأن كان لديهن عشاق Lovers ،فكلما امتلكت كل واحدة من هؤلاء النسوة العدد الأكبر من العشاق ازداد تقديرها Esteemed، حيث تصبح بعد ذلك محبوبة Beloved من قبل أكبر عدد من الرجال. " (Hērodotos, 1806, III, 229) وكان الأصل في ارتداء هذه الأشرطة والحلقات هو تعبيرًا – كما شاهد هيرودوتس – للمرأة عن عدد عشاقها من الرجال ممن قامت بمضاجعتهم. ووضع الحلقات الجلدية حول الكواحل، قد توضح مدى اهتمام النسوة الليبيات بالحلّي والزينة، وهي الفكرة التي تبلورت عنها تقاليد ارتداء المرأة الليبية لذاك الحلق النحاسي، الذي يسمى في التراث خلخال!. فنساء الأديرماخيداي Adyrmachidee أيضا يفعلن الأمر ذاته من باب الزينة، حيث وكما يطلعنا هيرودو؛ فإن نساء الأديرماخيداي Adyrmachidee ترتدي: " زوجاتهم/نساؤهم، حول كل ساق، خاتمًا/حلقة من النحاس الأصفر Ring of brass كما إنهن يسرحن شعرهن لينمو ". (Hērodotos, 1806, III, 226) وبالتالي فإن الحلقة النحاسية في الساق، هي نفسها التقليد الذي تحول لاحقًا إلى خلخال بين النسوة الليبيات فيما بعد.

Psylii البسيلي، وفي قراءة أخرى Psylloi اشتهـــروا بأن سم الأفاعي والعقارب لا يؤثر في أفرادهم. إذ أنهم كانوا يعرّضون الطفل حين ولادته لعضة أفعى؛ فإن لم يمت كان هذا دليلًا على شرعيته! وأنه منهم. (بلينيوس الأكبر، 1975، 102 . بليني الأكبر، 2019) ولدى النسامونيس أسلوب مشابه، بحيث " اعتادوا أن يكون لكل واحد عدة زوجات، ويجعلون معاشرتها مشتركة بينهم ". (هيرودوتس، 2003، 118).

أما الأطفال لدى قبيلة الأوزيـــس Ausees فقد كانوا ينسبونهم – عندما يشبون – إلى أقربهم شبهًا! إذ أن نساء هذه القبيلة مُشاع بين رجالها، ولا يمكن أن ترى أزواجًا إلى جانبهم زوجات، فالجماع أمر عارض بينهم، كما هو عند الحيوان، وإذا وُلد طفلًا، انتظروا حتى يشب عن الطوق، فيعقدون عندئذ مجلسًا، وهو مجلس يُعقد دوريًا كل ثلاثة أشهر، ويدعون إليه الفتى، ويُنسب إلى من كان أقربهم إليه شبهًا بين الحضور. (هيرودوتس، 2001، 363). ولدى قبيلة الأوزيس Ausees وفي قراءة أخرى Ausenses أيضا وبحسب ما جاء في روايات/ومشاهدات هيرودوتس؛ طقوس تقاتل

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

الفتيات في مجموعتين: " وإذا أصيبت إحدى الفتيات بجروح، وماتت خلال المسابقة، فإنهم يقولون بأنها Avas no virgin ليست عذراء. " (Hērodotos, 1806, III, 226).

وفضلا عن مشاهدات هيرودوتس، فإن بلينيوس سيكوندوس، لديه نفس الملاحظات، وخص بالذكر Gamphasantes القامفزانتس وهم الفزانيون، وأشار إلى أن الجرمنت لديهم نفس العادات، حيث: " ولا يمارس الجرامنت Garamante الزواج، بل يعاشرون نساءهم مختلطين ". (بلينيوس الأكبر، 1975، 116) وفي قراءة أخرى " لا يمارس Garamantes الجارامنتك الزواج Matrimoniorum بل يعاشرون نساءهم Feminis بشكل Passim عشوائي " (Plinius, 1961, 251).

ربما يمكن اعتبار بعض ما سبق، كنتاج لثقافة المجتمع الأمومي؛ ففي المجتمع الأمومي كانت سلطة الرجل غائبة؛ ولأن الرجل غالبًا ما يموت في الحروب والمعارك والشجار وخلافه، أو خلال الصيد ونحوه، فإن الأبناء ينتسبون إلى الأم، لا الأب! ولذلك كان للمرأة الحق أن تتزوج بأكثر من رجل في نفس الوقت.

2- المرأة في العصر الوسيط:

لكن مع بداية العصور الوسطى، بات الوضع الاجتماعي أكثر وضوحًا تجاه نظام الزواج، فقد بات ثمة زوج محدد مع عدة نساء، قد تصل حتى إلى خمسين امرأة/زوجة! ترتبط جميعهن بزوج واحد، وهذا ما أوضحه Moorish commanders أو قادة الماوري/البربر، للقائد البيزنطي Solomonis سولومون، خلال القرن 6م، بعد أن حذر الأخير المور من مخاطر الحرب، بسبب الخروقات التي ترتكبها قبائل الدواخل تجاه سكان المدن الساحلية، أجد كل هذا في رد أرسله كبار أمراء البربر، إلى Solomoniacos قائلين: " بالنسبة للرجال الذين يخترقون المعاهدات، فقد فعلوا ذلك عندما تعرضوا للظلم بشكل واضح، وبالنسبة لمصير الأطفال، فهذا سيكون قلقكم أنتم! ممن لا يُسمح لكم بالزواج سوى من زوجة واحدة! ولكن بالنسبة لنا، فالوضع مختلف! وبوسع الرجل الواحد منا، التزوج من خمسين زوجة في وقت واحد! وهذا بالتالي في صالح نسلنا الذي لن يفشل/يندثر ...". (Procopius, 1962, 295). وهذا النص هو رسالة من قادة البربر أنفسهم، تؤكد على ظاهرة تعدد الزوجات، بحيث كانت عشرات النساء يتزوجن من زوج واحد، أو بعبارة أخرى لكل زوج عدة نساء.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

ومع ذلك، يبدو أن ظاهرة تزوج المرأة البربرية بأكثر من رجل، قد استمرت بين بعض الفئات. فملكة الأوراس تيهيا Dihya عُرف عنها بأن لها ولدين من رجلين مختلفين، وكما يبدو فإنها كانت متزوجة من رجلين في وقت واحد، أحدهما مازيغي، والأخر يوناني، أو كما قال ابن عذاري المراكشي: " وكان له ابنان أحدهما بربري والآخر يوناني ". (ابن عذاري، د.ت، 18). وينفرد المؤرخ ابن الرقيق القيرواني باسميها: " فويدر، وبايمين ". (ابن الرقيق القيرواني، 1990، 26).

ثانيًا: ظهور شخصية الكاهنة الليبية خلال القرنين 5-6م:

1- الكاهنة Sacerdos الزعيمة الدينية للبربر/الأمازيغ:

على صعيد ميثولوجي؛ برزت المرأة المحلية خلال بدايات العصر الوسيط؛ في دور الكاهنة Sacerdos، وقد كانت شخصية مهمة في حياة البربر، فهي الكاهنة والعرّافة والزعيمة الدينية بالنسبة لهم. ولعل الناقد النحوي Grammatici الشاعر الإفريقي: فلافيوس كريسكونيوس كوريبّوس Flavius Cresconius Corippus يقدم لنا وبصفته شاهدا على عصره بالقرن 6م؛ وصفا لدور الكاهنة الليبية بين مجتمعها سنة 546م، قائلا: " وسُفكت الدماء Funditur sanguis على مذابح الرعب Horrcndis aris لأجل البحث عن نبوءات تطابق رؤية Guenfeia والد الشرير أنطالاس Antalas، وقد أمرت الكاهنة Sacerdos معصوبة الرأس بذبح ماشية pecus mactat من كل نوع، محاولةً إثارة مشيئة الأقدار Fata tenenda، وقد قامت وفي عنف بترع أحشاء Extis كل الحيوانات التي أمرت بذبحها، ثم شرعت في تفحص الحبال الطويلة من الأمعاء، بحثًا عن شيء ما تريده! ثم رمت بالأحشاء الأخرى في جوف النيران الأبدية Uiscera flammis ، ثم بدت وكأن مس قد أصابها! باتت تتصرف بغرابة ورعب، وفي جنون وغضب شديدين، حتى أخذت تغرز في جسدها نصال السكاكين Furore وبينما انبهرت Imprimit هي بنفسها، سال الدم من جراحها Corpore sanguis ثم رفعت رأسها عاليًا وهي تقلب عينيها داخل محجريها، وبدأ جسدها يتشنج في شرور Malignos، ثم أخذت تصبغ وجهًا باللون الناري Rubor igneus كعلامة للألوهية!. كان شعرها يتموج على كتفيها Ludunt comaequ ،ثم أخذت تتمتم وتهمهم بأصوات Murmura uocis وبكلمات غامضة مضطربة على أنها تتلقى وحيًا أو هبةً Flatibus من الآلهة!. ثم شرعت الكاهنة Sacerdos في التنبؤ بالمصير المشؤوم، وقالت بأن الأقدار قد رُسمت Fata trahunt وحكمت بهلاك شعب Vandalicasque فانداليكاسك/الفاندال، وبخراب ليبيا

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

Libycasque كذلك، وتحولها إلى أطلال وآثار Ruinas وأن الظلم والنير Iugum سيُرفع عن شعب Maurisque الماوريسكي/الماوري، وعندما يبلغ ولدك Antala أنطالا، يا Guenfan غوينفان، سن الرجولة؛ فإن كل أشكال البؤس المريعة Horribili miserum ستعم البلد! وسيصبح المكان عالما مضطربا Turbabunt mundum .. وإني لأرى دماء الفانداليكو/الوندال Sanguine Vandalico تتدفق وبسرعة من الجبال Montibus وستُحرق المدن الليبية في النيران! !Libycas exurunt ignibus urbes ". (Corippi, 1820, 40.41).

وكشرح موجز لما سبق، فإن الكاهنة وهي المرأة الزعيمة الدينية المور/البربر في ليبيا، كانت تنشط في معبد محاط بالنيران، تتدعي التنبؤ بالمستقبل، وكانت مقصودة من زعماء الحرب والسلم. وتم الإدعاء بأنها ترى هلاك الشعب الفاندالي، وأن مدائن ليبيا ستتدمر، وأن شعب المور/البربر سيتحرر، وأن جموع المور ستقاد بيد الأمير الصغير أنطالاس Antala ، ابن الأمير البربري Guenfan غوينفان، وأن البلد ستضطرب بسبب الحروب المدوية.

ولعل نبوءة وشعوذة المرأة الكاهنة تبدو مدهشة في لغة ذاك العصر، ولا يستقيم شرحها إلا في لغة الكهنة المدهشة! لكن مشكلة الكاهنة أن سحرها ليس مدهشًا؛ لأنه قابل للتفسير وسط برنامج بسيط من الأساطير والخرافات الوثنية. غير أنه ووسط مجتمع غائب من هذا النوع، سيستمر العرض الدجلي للمرأة الزعيمة المقدسة، طوال القرن السادس للميلاد، وإلى ما قبل الإسلام بقرن واحد فقط. ففي نهاية حدود مارماريدي Marmaridum fines وهي منطقة مرماريكا Marmarica بشرقي ليبيا، يخبرنا كورييوس، بأن هناك أيضا كاهنة بربرية أخرى، ذهب زعيم قبائل خليج سرت، وقائد تحالف لواته؛ الزعيم كركاسان Carcasan لطلب نبوءتها، وقصد معبد أمون، التي يقدسه الليبيون الشرقيون، وطلب العون في صراعه ضد المدن البحرية، وحلمه بإقامة مملكة للبدو الرحل داخل المدن العتيقة. أو كما أشار كورييوس: " بعد أن أشعل كركاسان Carcasan الثورة/الغضب الشديد Furorem في قلوب الناس Populis ذهب الى حدود أرض مارماريداي Marmaridum fines حيث مقر وأرواح المعبود أمون ذو القرنين Corniger Ammon وطلب العون منه. ". (Corippi, 1820, 94).

هناك: " صعدت الكاهنة حول المذبح، وأخذت تصرخ وتدور طلبًا للنبوءة. كان بريق عيناها يقدح شرًا Igne micant oculi وشعرها Capilli منفوشًا إلى الأمام، ووجها مخضبًا باللون

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

الأحمر Feruore rubescit كلون الدماء، وقد أخذت تجمع النيران، ثم نظرت إلى القمر لتتحسس الأقدار، تبدو رائعة مع لون القمر Lunam لكنها أخذت تتحدث بصوت خبيث Vox improba عن ما تخبأه المصائر/الأقدار Fata قائلة أمام الجميع: بعد حرب مريرة ستنتصر قبائل لانغوانتان Victor Languantensis، وستتمكن من الإيقاع بقوات لاتينوس Latinos اللاتينية، ولسوف تحتفظ قبيلة مازاكس Mazax بحقول بيزاكيّ Byzacii والسهول الكبرى Campos magna في المنطقة، ثم يكون هناك سلام يعم المكان، وسوف يدخل الزعيم كركاسان Carcasan ductor قلعة قرطاجة الشاهقة/الشامخة Carthaginis arces وستكون أبوابها مفتوحة/مشرعة Portis apertis أمامه، وسيقود رجاله إلى وسط المدينة. ولسوف تصيب الدهشة السكان الأفارق Mirabitur Afer عندما يرون وجوه رجاله Terribiles المخيفة!. قرطاج هي متعة للجميع Felix Carthago per omnes وهجوم كركاسان Carcasan سيثير الرهبة في النفوس Terror acerbas ، وسيجبر الأمم على الخضوع له Subiiciet gentes وسيضطرهم إلى عقد معاهدات السلام Foedera pacis معه. " (Corippi, 1820, 95).كانت هذه التصورات، هي ما كان يعتقد المور في ليبيا، أنها تنبؤات للكاهنة المحلية. وهذه الشواهد ما يهمنا فيها كونها تفيد بالدور الكهنوتي/القيادي الديني، الذي مارسته المرأة في ليبيا، قبل الإسلام بقرن واحد.

2– مقاربة ميثولوجية في سيرة ومسيرة الكاهنة – الداهية:

أورد المستشار البيزنطي Procopius Caesarensis بروكوبيوس القيصري؛ صنفًا آخر من النساء الليبيات، وهو الذي تمثل في المرأة الساحرة، حيث ذكرها بصيغة الجمع، على إثر الهزيمة الوندالية، على أنهن ساحرات قد تنبأن بهزيمة المور على يد الجند البيزنطيين. وهو ما كرسته المصادر الإسلامية أيضًا من خلال تشخيصها لشخصية الكاهنة أو الداهية البربرية (عبيش، 2007، 284). وتلك الإفادة نجدها موثقة لدى الراهب البيزنطي ثيوفان Theophanes القائل في حوليته: " في ذلك الوقت، تم تحقيق المثل السابق الذي تردده العرّافة A female seer الأنثى الماورية/البربرية، والذي يقول بأن معظم رجال المور/البربر؛ سيهلكون Would perish على يد رجل بلا لحية! A beardless man ." (Theophanes, 1997, 297) وهذه الإشارة النسوية تزعم بأن المحاربين المور/البربر سينهزمون أمام الجند الروم البيزنطيين، وهم ممن كانوا يوصفون بكونهم رجال بلا لحى! قياسًا بكونهم وعلى عكس رجال البربر يحلقون لحاهم، وهذا النص يقودنا مجددًا إلى دور المرأة البربرية في الجانب

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

العقدي، حيث مارست المرأة في كل منطقة تقريبًا من ليبيا وما جاورها، دور العرّافة، والكاهنة، والزعيمة الدينية، والتي ترشد أتباعها حتى إلى السبل الحياتية، وتتنبأ حسب زعمها بالنتائج العسكرية والاجتماعية.

وكدلالة على استمرار دور المرأة الكاهنة حتى بدايات العصر الإسلامي؛ ظهرت شخصية الملكة تيهيا ماتيا Tehya Matia المكناة بالداهية، وهي الزعيمة الدينية والسياسية لعددٍ من قبائل البربر، وهي التي شخّصتها المصادر العربية أثناء صراعها مع القائد حسان بن النعمان؛ على أنها تحمل تمثالاً ضخمًا من الخشب على ظهر أحد الجمال، مما جعل فرضية استمرار الطقوس الوثنية جنبًا إلى جنب مع الديانة المسيحية، أكثر ديناميكية واستمرارية، بل وأكثر مقاربة مع الطقوس التي مارسها الملك الليبي إيرنا Ierna عندما كان يحمل تمثال المؤله الليبي غرزيل Gurzil على ظهر جمل إلى أرض المعركة. وقد برزت شخصية Ierna كملك على رأس قبيلة أو شعب مارماريداس Marmaridas gentes ممن كانوا يسودون بوادي الجبل الأخضر بشرقي ليبيا. ونجد في شهادة شاهد العيان: الناقد الإفريقي فلافيوس كوريبّوس Flavius Corippus وصفا له بـــ" إيّرنا ملك المارماريدوس Ierna Marmaridum rex الفخور والمتغطرس Superbus ". (Corippi, 1820, 89). وقد ظهر إيّرنا سنة 547م كملك وشيخ قبيلة، يجمع بين يديه السلطتين العسكرية والمدنية، مع انفراده بالزعامة الدينية، متعمداً إثارة حماس الجماهير، حيث وصفه كوريبوس على أنه حامي حمى تمثال المعبود الليبي قورزيل Gurzil بقوله: إيرنا Ierna الزعيم الشرس Ferox doctor يرفع شعار قورزيل Gurzilque الجبار، فهو قائدهم وهو كاهنهم Sacerdos . (Corippi, 1820, 25).

ثالثًا: مرافقة النساء المحليات للرجال سلمًا وحربًا:

1- خروج النساء خلف الرجال أمام محاربي الفاندال:

لقد وردت بضع الإشارات للنساء المحليات ضمن حركية القبيلة، فأُبرزت كأم، أو محاربة، تشارك في قرع طبول الحرب، وتثير حماسة الجند، أو تسير في أعقاب الأمير، بل برزت مشاركتها أيضًا في أتون المعارك، وإذ ما كرر فلافيوس كوريبوس صورة النساء اللواتي قتلن بسبب ازدحام الحيوانات وتساقطها عليهن، فإن بروكوبيو القيصري قد وصف -كما يؤكد الباحث عبيش -كيف قامت إحدى النساء

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

بطحن الحبوب، وطهي الخبز، أثناء حديثه عن اختفاء الملك الوندالي في وسط المور. (عبيش، 2007، 284).

غير أن أفضل الشواهد عن وضع المرأة المرافق للرجل في الحرب خلال الفترة الفاندالية، هي تلك التي الفترات التي كان يقود فيها الزعيم الجبلي كاباون Cabaon قبائل البربر خصوصًا بالجبل النفوسي. وقتذاك اندلعت ثورة القبائل الجمّالة/التي تقود الجِمال المتحدرة من أطراف جبال نفوسة بقيادة كاباون Cabaon ضد سلطة الملك الفندالي Thrasamund تراساموند سنة 523م. حيث تقدمت القبائل الجبلية باتجاه الساحل نحو مراكز المقاطعة الطرابلسية، وسيطرت عليها بالكامل كما يخبرنا المؤرخ إيفاغريوس Evagrius 535-594م مع قيامها باضطهاد سكان المدن الطرابلسية/البحرية (Evagrius, 1846, P 205) فيما تعرضت الحامية الفاندالية الصغيرة بمدينة أويا إلى الهزيمة. على التخوم الطرابلسية نفسها أقام كاباون " سياجين مطوقين، الأول أقام بداخله هو شخصيًا مع جميع الرجال، وفي السياج الآخر جمع جميع النساء، وأغلق عليهن، وهدد بأن الموت سيكون عقوبة كل من يحاول الذهاب أو الاقتراب من سياج النساء. (Procopius, 1962, 79). وكما يروي بروكوبيوس: فإنه " عند اقتراب الوندال؛ رتب كاباون Cabaon اللقاء للمعركة على النحو التالي: وضع علامة خارج قطر دائري كبير في سهل مفتوح، وكان ينوي صنع حاجز له، وُوضعت جماله على حواف الدائرة، باعتبارها حماية للمخيم، وجعل خطة المواجهة للقاء العدو برص اثني عشر جملًا. ومن ثم وضع الأطفال، والنساء، وجميع أولئك الذين كانوا غير صالحين للقتال جنبًا إلى جنب مع ممتلكاتهم في الوسط ". (Procopius, 1962, 81). في مركز الدائرة إذًا وضع كاباون الأطفال والنساء ثم الشيوخ وممتلكات القبيلة، وكما يطلعنا إيفاغريوس Evagrius 535-594م: " يقوم كابونيس Cabaones بوضع الرجال في صف واحد، فيما يضع النساء داخل مرفق آخر، ويهدد بالموت كل من يقترب من النساء. " (Evagrius, 1846, 205). بينما تموضع الرجال القادرون على حمل السلاح تحت بطون الجمال ليتخذوها كدروع لحماية أنفسهم من الرماح أو النشاب، أو أي وسيلة هجومية محتملة، ولم يتمكن فرسان الوندال الذين تعودوا القتال بالرماح والسيوف من دفع خيولهم إلى الأمام؛ ذلك أنها كانت تتراجع في خوف واشمئزاز من رائحة ورغاء، وهدير الجمال!. وكما يفيدنا بروكوبيوس: " تقدم الوندال Wandali مشيًا على الأقدام، وتقدم آخرون كفرسان، وكان معظمهم يستخدم الرماح والسيوف، وبالتالي كانوا غير قادرين على إلحاق أي ضرر بالعدو عن بعد، علاوة على

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

ذلك فإن خيولهم أصبحت مترعجة من الاقتراب من الجمال! وقد رفضت تمامًا الاندفاع ضد العدو إلى الأمام." (Procopius, 1962, 83). ارتبك الخيالة الوندال الذين لم يكن في وسعهم استيعاب الكيفية التي يمكن لهم من خلالها؛ أن يتعاملوا مع هذا الموقف الجديد بالنسبة لهم!. " ومنذ ذلك الوقت أصبحت كتائب Phalanx الماوري Maurorum تتألف وفق هذا الشكل، في حين كان Wandali الوندال حائرين في كيفية التعامل مع هذا الموقف!؛ لأنهم لم يكونوا جيدين في رمي الرمح ولا مع النشاب بالقوس! وأصبحوا عاجزين تمامًا، ولا يعرفون الكيفية التي تخولهم خوض هذه المعركة!. " (Procopius, 1962, 81). وفي تلك اللحظات ينتهز رجال كاباون والمتحصنون وراء جمالهم؛ هذه الفرصة ؛ ليتولوا زمام الأمر برمي العدو بالرماح الطويلة والقصيرة، وربما حتى بالحجارة. مما أفضى إلى مقتل وجرح عدد كبير من أفراد الجيش الوندالي، الذي خسر اللقاء تماما، وقد ذكر الإمبراطور الكاتب موّريس Maurice 582-602م صاحب كتاب التكتيكات العسكرية Maurice's Strategikon أن المور Mauris يتصفون بالقتال بواسطة الرماح الماورية القصيرة Short Moorish javelins . (Maurice, 1984, 152).

وبفضل هذه الاستراتيجية الحربية المحكمة والتي استعملت فيها الجمال كسلاح ردعي فكك من نجاعة الهجوم الوندالي، كانت النسوة المحليات وأطفالهن في مأمن من مخاطر الصراع المسلح، وقد حافظ بدو البربر على نفس النسق حتى خلال بالفترة البيزنطية، لكن هذا التكتيك لم يكن مجديًا أمام كتائب الروم البيزنطيين، فباتت المرأة أنذاك معرضة لأكثر من مفاجأة.

2- مرافقة النساء المحليات للرجال سلمًا وحربًا بالفترة البيزنطية:

في ليبيا الفترة البيزنطية سارت النسوة في صحبة الرجال في أوقات السلم والحرب معًا، ذلك كان الطابع البدوي لأشهر قبائل أوائل العصر الوسيط، وهما: لاغواتان/لواتان Laguatan وأستريان Austuriani والأولى هي لواتة، والثانية هي هوارة – كما أفترض - بحسب موقعهما الجغرافي في ضواحي المدن الطرابلسية، وهما ائتلاف كبير لقبائل البربر ممن تميز كليهما بأغلب مظاهر حياة البدوية والترحال الموسمي، فالنساء والأطفال بل وحتى قطعان الغنم تنتقل مع الرجال، في السهول والبوادي والفيافي، بل وحتى خلال لقاء أعيان البربر بدوق مقاطعة المدائن الطرابلسية الثلاث في العاصمة لبتي مانيا Leptimagnae أو لبدة العظمى، حيث مقر الدوق سرجيوس Sergius مع شريكه الوجيه الإفريقي الطرابلسي بودنتيوس Pudentius سنة 543م؛ كانت النساء، والبنات، والأطفال،

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

والشيوخ، والغنم والدواب حاضرين مع المحاربين الرجال في السهل القريب من مدينة لبتيس، وقد أكد بروكوبيوس ذلك، خصوصًا عند توضيحه بأن قوات لبدة الكبرى وطرابلس تمكنتا من إحراز تقدم قتلوا من خلاله الكثير من المور؛ ونهبوا معسكرهم، واستحوذوا على بضائعهم، واستعبدوا Jenslaved عدد كبير للغاية Great number من النساء والأطفال. ". (Procopius, 1962, 397). وهذه الشواهد المتعلقة باصطحاب الرجال للنساء والأطفال في السلم والحرب، تؤكد الطابع البدوي لمكونات لواتا وأستراياني.

إن عشرة قرون من الفلسفة والحضارة، لم تحل مشكلة المرأة والعائلة الليبية حتى بدايات العصر الوسيط، وظلت القبائل تجر عيالها ورائها من قرن إلى آخر. لقد كانت النساء البربريات يصحبن رجالهن في حتى في أتون الحروب البيزنطية، وإذ يمدنا بروكوبيوس خلال القرن 6م بالتفصيل التالي: " يصحب المور The Moors نسائهم وأطفالهم معهم للمعركة، يجلبون معهم الأكواخ Huts والحواجز The stockades يرعون خيولهم بمهارة Skilfully ويشحنون جمالهم بالطعام، ويشحذون أيضًا الأسلحة الحديدية The iron weapons التي معهم بهدف تحضيرها للقتال. وقد أخذ الرجال منهم مواقعهم مشيًا على الأقدام بين سيقان الجمال Between the legs of the camels مع وجود الدروع Shields إلى جانبهم والسيوف Swords والرماح الصغيرة Small spears التي اعتادوا على رميها مثل الرمح، فيما ظل بعضهم مع جيادهم وبهدوء بين الجمال ". (Procopius, 1962, 297). ويصف الراهب البيزنطي ثيوفانس Theophanes المعترف، أنماط مخيمات القبائل البربرية في ليبيا، بحوليته قائلا: " وكان المخيم قد تخيم على شكل دائرة من الجمال A circle of camels وتم وضع النساء، والأطفال بداخل الدائرة Placing their women and children inside the circle " (Theophanes, 1997, 296).

تتموضع نساء البربر/المور؛ داخل حلقة مطوقة بسياج من الإبل والثيران المحكمة الوثاق، وبينما يقوم الرجال بالتحصن خلف صفوف الإبل، تكون في " منتصف الدائرة نساء المور Women of the Moors جالسات ". (Procopius, 1962, 305).كان البربر يقومون بالاعتماد على الماشية والإبل – المربوطة ببعضها البعض وبإحكام تام – في تأمين سياج حلقة القبيلة، التي يضعون النساء، والأطفال، والشيوخ، والعجائز، والممتلكات في وسطها. وينتصب الرجال المحاربون خلف الإبل والثيران التي يستعملونها كمتاريس يتحصنون أو يتقدمون خلفها وهي مربوطة إلى بعض، غير أن مرافقة النساء

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

والأطفال للرجال البدو خلال الحرب، كان نتيجة لعدم وجود مدن تخص هؤلاء، وظاهرة عدم امتلاكهم للمنازل المستقرة، هو ظرف حياتي/نمط معيشي؛ اضطرهم بالتالي إلى مواجهة المتاعب الكبرى بفقدان نسائهم وأطفالهم! إذا ما خسروا المعركة، لم تكن القبائل البربرية تملك فرصة لكسب السباق ما دامت خارج الملعب نفسه، ومع ذلك وتحت وطأة المكابرة والتعنت؛ رفض قادة المور Moori مواجهة هذه الحقيقة، ونجحوا خلال الظروف اللاحقة في تمرير الخسارة نفسها، وبكل يسر!، معتقدين بأن نتائج تكتيكاتهم العسكرية المعقودة بطوق الإبل والتي حمت النساء والأطفال أمام فرسان الوندال، قد تنفع مجددا أمام كتائب الروم البيزنطيين.

3- تبعات مصاحبة النساء للرجال في ميادين القتال:

لقد استغل الروم البيزنطيون ظاهرة اصطحاب البربر لنسائهم، وعلى هذا الأساس صاروا يجربون ضدهم حرب إبادة من نوع آخر! وهذا النوع من الإفناء المجتمعي تمثل في أخذ النسوة، والفتيات، والعرائس، والأطفال، والأولاد أسرى وسبايا في أيديهم! معركة تلو معركة، وجولة تتلو جولة، حتى يشعر الرجال بالمرارة، ويأتي وقت لا يجدوا فيه من يحتضنهم من عائلاتهم، كان الهدف هو إنهاء النسل البربري في ليبيا، بعزل الذكور عن الإناث. لقد كانت هذه المسألة مبعثًا للحرج. غير أن زعماء القبائل لم يتقدموا لها بأي حل.

تحت ظروف من هذا النوع، استمرت القبائل الرحالة تقاتل مصحوبة بنسائها وأطفالها، وظلت تضعهم داخل دائرة محصنة مطوقة بالجمال والثيران، كان المور يثقون في التحصينات الحيوانية التي يقومون برصها من أجساد الإبل والبقر. وإذا ما خسروا المعركة تولوا مضطربين إلى سفوح الجبل النفوسي، تاركين عيالهم ورائهم، وكانت هذه الوسيلة غير المجدية قد أدت وبعد اختراق الجنود البيزنطيين للتحصينات الحيوانية إلى وقوع جميع النساء والأطفال أسرى وسبايا في يد الروم البيزنطيين أو جيش العالم اللاتيني Latinus exercitus orbem وكما يطلعنا الراهب البيزنطي Theophanes ثيوفينس المعترف، في حوليته بالقول: " بعد مقتل حوالي 200 جملٍ راقدٍ، اندفع المهاجمون (الروم البيزنطيون) إلى وسط الدائرة، حيث كانت النسوة قاعدات Where the women were seated هرب البربر Barbarians مرعوبين إلى الجبل Fled to the mountain وفي اضطراب كامل. نحو 10000 رجلٍ من المور Moors كانوا قد لقوا حتفهم في ذاك يوم، أما النساء والأطفال The women and children فقد تم أخذهم جميعا كعبيد

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

were taken as slaves، وجنبا إلى جنب مع الجمال The camels وجميع الغنائم All the booty ." (Theophanes, 1997, 296).

وبحسب ما تفيدنا به روايات النحوي الإفريقي: فلافيوس كوريبّوس Flavius Corippus وهو مؤرخ الحروب البيزنطية وباللاتينية في ليبيا بسنوات [538-539-544-546-548م]K فإن الجند الرومان/البيزنطين كانوا يقومون بأخذ النسوة والأمهات Matres والأولاد Iuuenes وكبار السن Senibus إلى حرس المعسكر الرومي Romanus ويعودوا ليبحثوا وهم يدوسون وسط الجثث Medias conculcans funera عن كل ما يمكن نقله وسرقته من ماشية Boues وإبل Camelorum وخراف Ouibus ومتاع متبقية في Fera castra Maurusia المعسكر الماوري للماشية، وبذلك ضاعت من المور Maurorum الآن كل أشيائهم! Omnia iam pereunt Maurorum (Corippi, 1820, 88).

من جديد يظهر نمط القبائل البدوي/الرحال، والذي ينقل حتى نسائه وأطفاله معه خلف ظهره إلى ساحات المعارك، بمثابة نمط أرعن خالٍ من الحكمة. وفي جميع الأحوال تواصلت سلسلة النكبات، التي طالت هذه المرة حتى فروة رأس الزعيم الليبي الكاهن Ierna إيّرنا شخصيًا! وهو ملك المارماريدوم Marmaridum rex خلال القرن 6م، وهي القبائل البدوية التي تقطن شرقي ليبيا، وربما كانت جزء من قبائل لواتة التي كانت تعيش في بوادي وحواضر برقة مع مجيئ الإسلام، وقد شخص كوريبوس موقفه بعد المعركة بالقول: " هرب Ierna يّارنا، راكضًا إلى البرية! Fugit ille ferus بعد أن خارت قواه Confracto robore وقد فقد هو وأتباعه كل شيء!. حتى نساءهم وأطفالهم! وهرب يجر معه مجسم/هيكل قرزل Simulacra Gurzil آملًا في أن يضفي عليه القليل من الحماية! (Corippi, 1820, 88).

خسر من تسميه المصادر بشعب مارماريداس Marmaridas gentes صفقة الحرب، بل خسروا حتى نسائهم، وبناهم، وأمهاتهم. وأخلوا مكانهم لسلطة/قيادة جديدة، تصدرتها فصيلة قوية تصفها المصادر بأمة النسامونس Nation of the Nasamones والتي قادها أعتى رجالات القبائل وقتذاك؛ وهو الرئيس كركاسان Carcasan dux وضم تحت قيادته القبائل القاطنة في خليج سرت Syrtim أو Syrticus سرتيكوس. ورغم الانتصارات المدوية والتي ابتهلت بها النساء إلى جانب الرجال، إلا أن آخر معارك القبائل المحلية/البدوية بقيادة الزعيم كركاسان Carcasanque

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

ductor كانت نتائجها وفي مطلع ربيع عام 548م؛ غير سارة، إذ هلكت الكثير من القبائل، وتشتت غيرها، وفقد رجال القبائل أمهاتهم، وزوجاتهم، وأطفالهم أسرى في يد Byzantiis Romanus الروم البيزنطيين. وكما يمدنا مؤرخ القرن 6م فلافيوس: " في الوقت نفسه، كان القائد الذي قاد عصابات المتطرفين من جميع أنحاء العالم، ممن نشروا الرعب بشكل هائلٍ ,Finibus e cunctis terror quae sparserat ingens قد تفرقت جموعه القادمة من منطقة سرتيكوس Syrticus سدىً! وها هو الزعيم كركاسان Carcasan doctor قد خاطب فلول شعبه بكلمات، والدموع الحزينة Et tristes lacrimis تملأ عينيه: أيتها الشعوب غير العادية! Indomitae gentes والتي لا تُهزم! لم يكن هذا أملي/اعتقادي Sperabam فيكم بأن أرى المور Mauros على هذه الصورة من Deiectos الكآبة!! إن قبائل إيلاسغواس Ilasguas التي لم تُهزم أبدًا Numquam superatus. فقدت الآن كل شيء! باتت مهزومة وأضحت عارية Nudus adest لقد خسرنا حتى الأمهات السيدات! Matresque والعرائس Nurusque لقد فقدنا أمهاتنا، وزوجاتنا، وأطفالنا! Natosque فماذا تبقى لنا؟ Quid denique restat ،وماذا يبقى للرجال Uiris بعد ذلك سوى الموت Mors وحده؟! ما الذي نرجوه Placet الآن؟ إن العون الذي قدمته لنا آلهتنا Deorum لم يكن ليتبدد!. ليست هذه مشيئة أمون Ammon ولا هي بإرادة قورزِل Gurzil .." (Corippi, 1820, 93).

4 – مصير النسوة أسيرات الحرب:

تماشيًا مع مسرح الأحداث، سأشير هنا إلى أبعاد الكارثة الإنسانية الفادحة، والنتائج غير السارة قد تصيبنا بالدوار ؛ فإن انتقال النساء، والزوجات، والعرائس، والفتيات، والأطفال إلى جانب الرجال إلى مخيم القبيلة، حيث ساحات المعارك المرتقبة، نجم عنه ذهاب النسوة، والأطفال، والمتاع في حالات الخسارة المتكررة؛ كسبايا وغنائم للبيزنطيين وحلفائهم من سكان المدن الساحلية! وهم خصوم قبائل الدواخل البدوية في ليبيا، فبعد هزيمة رجال القبائل على يد القوات اللاتينية Acies Latinas وأنصارهم من سكان المدن البحرية؛ تحولت نساء وفتيات البربر إلى خدمة الأمهات الإفريقيات المسيحيات في المدن الساحلية، وقد تسبب البدو البربر بوعي أو دونه، في تدمير عائلاتهم. وأصبحت النسوة الماوريات Maurusia يغالبن الخيبة والفشل، بالرجاء والأمل! وقد نقل كورييوس صورة لنا عن حال ومشهد: " النسوة الموريات الأسيرات Captiuas Mauras وهن يحتضن أطفالهن، ويبدو

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

الحزن/الألم Dolores على وجوههن التعيسة! إنهن يشعرن بندم وأسفٍ قاتلٍ Poenituitque malum وكن يلّعن حظهن/نصيبهن، وآلهتهن Damnant sortesque deosque يا أيتها النسوة البائسات! Heu miserae matres فها أنتن قد أصبحتن في خدمة الأمهات الإفريقيات Matribus Afris لم تكن النسوة من لون واحدٍ! فبعضهن فائقات الجمال، وهناك تجلس امرأة بشعة المنظر، لونها أسود كلون أطفالها السود Nigris natis الذين يشبهون لون فراخ الدجاج الأسود Nigrescere pullos " (Corippi, 1820, 92).

ويمدنا المستشار البيزنطي بروكوبيوس القيصري بالقول عقب خسائر جموع القبائل التي كان يقودها الزعيم المحلي السرتي كركاسان: " يقال أن عشرة آلاف Ten Thousand من المور The Moors قد هلك Perished في هذا اللقاء! في حين أن جميع النساء، وجنبًا إلى جنب مع الأطفال؛ قد تم أخذهم كعبيد Slaves ، وقد تحصل الجنود على غنائم Booty جميع الإبل All the camels التي لم تُقتل خلال القتال. ورجعوا مع جميع ما نهبوا/غنموا Their plunder للاحتفال بمهرجان النصر ". (Procopius, 1962, 305). Festival of triumph أما ما يتعلق بالأطفال فيخبرنا الراهب البيزنطي ثيوفان Theophanes في حوليته بالقول: " كان عدد النساء والأطفال الذين أخذهم الرومان The Romans بصفة أسرى كبيرًا جدًا! لدرجة أنهم سيبيعون صبيا موريا A Moorish boy واحدا، بسعر خروف! ". (Theophanes, 1997, 297).

لقد ظل بدو البربر الجمّالون يأملون أن تكون هذه النتائج، هي خاتمة للمتاعب التي يواجهونها، وليست لدي فكرة عن مصير/مستقبل النسوة الأسيرات، لا توجد أية إفادات حول إذا ما تم استرجاعهن من طرف أهاليهن بفدية أو غيرها، مما يضعني في اعتقاد يذهب بإمضائهن بقية حياتهن في خدمة الأمهات الإفريقيات المسيحيات من ساكنات المدن البحرية، وبالتالي من المرجح أنهن قد توفاهن الأجل وهن على هذا النحو، جميع المواجهات التي خسرت فيها القبائل البربرية المواجهة ضد القوات البيزنطية وشركائها من جند الحاميات الطرابلسية/الإفريقية، كانت النسوة فيها والأطفال والمؤن تذهب لصالح الطرف المنتصر، مما يسبب في خلل سيسيولوجي في بنية المجتمع القبلي، لكن زعماء القبائل كان عليهم أن يكتشفوا هذه الحقيقة بأنفسهم.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

رابعًا: التفسير السوسيولوجي لوضع المرأة:

طوال مائة سنة من التجربة والخطأ، تظهر الصفة المشتركة بين الفئات القبلية في ليبيا، أنها تورطت جميعها وتحت مختلف الظروف في قهر حياة المرأة المحلية، التي كانت تتبع الرجال الرحّل في مأواهم ومأكلهم وحتى في حروبهم! لم يكن للمرأة ثمة خيار آخر؛ لأن معظم القبائل البربرية في ليبيا كانت بدوية لا مسكن ولا مدينة لها، وبالتالي كانت القبائل مجبرة على جر نسائها، وعيالها، وممتلكاتها ورائها، وإن وجدنا مدينة كغدامس أو أوجلة أو جرمة، فسنلحظ بأنها غير مسوّرة، وعلى العكس من مشاركة الجرمنت، فإن المصادر لم تذكر انغماس سكان غدامس/سيدام Cidame أو أوجلة/أوجيلي Augilis في الحروب البيزنطية المضنية والشاقة في البلاد. ومع ذلك فهذه المدن الصغيرة لم تكن تتضمن أية تحصينات، ولم يشارك سكانها في الحرب بشهادة من بروكوبيوس شخصيًا، وفي حال وجود قرى/مدن صغيرة أخرى منخرطة في الصراع، فإن بقاء النساء والأطفال داخل قرية ما، هو أمر غير مأمون النتائج وسط بلاد تؤمها قبائل جوالة لا تعرف الحياة المدنية بصنائعها وفنونها وعمائرها، بقدر ما ترى في السطوة والغنيمة وسيلة لكسب القوت.

إن المرأة البربرية البدوية The nomadic barbarian woman كانت ولا شك ترى في الهزيمة مصيرًا مأساويًا سيئًا! ومذلًا من العبودية في البيوت داخل أسوار المدن البحرية، في Tripolitanae تريبوليتانّي/المدن الثلاث، وبينطابوليس Pentapolis أنطابلس/المدن الخمس، فضلًا عن الإهانة الجسدية، وربما حتى الإهانة الجنسية ولا شك، على أيدي بعض الجنود والضباط الطرابلسيين والرومان داخل المدن المذكورة نفسها.

خامسًا: ماهية العناصر المصطحبة لنسائها وأطفالها:

بقليل من المنطق وبوافر من السند المصدري، أود سرد مكونات القبائل البدوية التي كانت تصحب نساءها، ومتاعها، وممتلكاتها، وخيامها ورائها، ضمن طابع بدوي يستعمل معظم أفراده الإبل حتى في فيافي الجبلين النفوسي والأخضر نفسيهما، وهم منخرطون داخل حلف الأمة اللانغوانتانية Languantan gentis، كما يصفها كوريبّوس (Corippi, 1820, 17). المنضوية تحت ائتلاف قبائل إيلاغواس Ilaguas التي لم تُهزم أبدا!. (Corippi, 1820, 24). وحلفائهم من شعب مارماريداس Marmaridas gentes القاطنون ببوادي الجبل الأخضر، ممن كان محاربيهم يحتمون بظهور الإبل Camelos من الرماح والسهام التي يطلقها الشباب الروم

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

Romana iuuentus . (Corippi, 1820, 106). فضلا عن تحرك قبائل Syrticus سرتيكوس/قبائل خليج سرت، أو " محاربي سرتيكا Syrtica ". (Corippi, 1820, 81)،كما كان شاركت أيضًا قبيلة مازاكس Mazax في الحرب. (Corippi, 1820, 75). وهم القاطنون بطرف المقاطعة الإفريقية، علاوة على مشاركة قبائل نفوسة الجبلية والتي ذكرها كوريبو شخصيًا باسم Nauusi وهي " تلك القبائل التي تسكن Montana Nauusi جبال ناؤوسي (جبال نفوسي) بالجبال المهجورة والأماكن الصحراوية Desertosque الجافة في منطقة ناؤوسي (منطقة نفوسي/نفوسة) Nauusi الكثيبة Tristis ". (Corippi, 1820, 26)،كما كانت قبائل الأستريابي/أوستور Austur تتصف بنفس النمط تجاه التركيبة المجتمعية التي تصحب معها النساء، والأطفال، والدواب والمتاع، وهؤلاء نشطوا في دواخل مقاطعة لبدة الكبرى، وهم القبيلة الواثقة في قوتها وشجاعتها في الحرب Fidens et fortis in armis ممن يقومون بتجميع إبلهم Camelis ليتخذوا منها أسوارًا وحصونًا وجدرانًا Muros (Corippi, 1820, 25).

سادسًا: أسباب مرافقة النساء لرجالهن:

جميع هؤلاء وغيرهم من قبائل المور/البربر في ليبيا، كانوا يتحركون في أوقات السلم والهدوء، أو بأوقات النزاع والغارات والحروب، وهم مدفوعون بنسائهم، وأمهاتهم، وأطفالهم، وجمالهم ودوابهم، وخيامهم، ولا يعني هذا بالضرورة طلبًا للعزيمة من النساء في ميدان المعركة! ففكرة من هذا النوع، هي عمل من شأنه أن ينقل الضوء إلى أبعد زاوية ممكنة، ويشغل البحاث عن رؤية الخلل الحقيقي! والقريب!. فالروم البيزنطيون Byzantiis Romanus وكذلك الفاندال وغيرهم من الخصوم؛ كانوا يقاتلون في ليبيا كبلاد أجنبية بعيدًا عن ديارهم، وليس حتى في بلادهم المحلية! ومن دون رؤية نسائهمً وأطفالهمً وعائلاتهم بالأشهر والسنوات!. فلماذا حققوا انتصاراتهم، ومن دون الحاجة إلى دعم نسائهم، وأطفالهم، وأهاليهم؟! ولماذا خسر رجال القبائل المحلية في عقر دارهم! ووسط زغاريد نسائهم!؟

لقد كان الدافع في حقيقة الأمر وراء اصطحاب البربر لنسائهم، هو عدم امتلاك من سماهم سكان المدن البحرية بالأمة اللانغوانتانية Languantan gentis / اللواتية؛ وغيرهم من القبائل المحلية لمنازل سكنية تأوي نساءهم وأطفالهم! لذلك كانوا مرغمين على اصطحاب كل ما يملكون معهم حتى إلى ميدان المعركة بقدر ما اعتادوا على ذلك في مواسم التنقل والترحال والحصاد.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

سابعًا: وضع المرأة في سياق المعاملة الذكورية قبيل الإسلام:

ينقل الناصري عن صاحب «الجمان من مختصر أخبار الزمان» قدوم قوم من بني مازيغ بُعيد الفتح الإسلامي إلى مقر عمرو بن العاص في مصر، وأنهم أشاروا إلى أن علامتهم هي إكرام الخيل، وإهانة النساء. (الناصري، 1997، 1، 130) ويشدني في هذا النص موضوع إهانة النساء، التي أعتقد بأنها كانت من تقاليد قبيلة لواته، إذ أن الجماعة المشار إليهم هم من لواته، وبالتالي ليست صحيحة أو دقيقة مع بقية القبائل والمكونات، خصوصًا التوارق Touaregue أو كما هو اسمهم الصحيح: الإيموهاق Imuhagh في أقصى جنوب غربي فزان، ومن بعدهم النفوسيين في الجبل، ممن كان كلاهما يولي المرأة مكانة جيدة، بل ونجدها مرموقة في مجتمع التوارق/الطوارق. وكما لاحظنا فإن المرأة الليبية برزت منها شخصية الكاهنة/الزعيمة الدينية قبل الإسلام بقرن وقرنين سابقين. ويرد لدي خبرٌ عن بعض أعيان بني مازيغ، وفي تقديري هم من بربر برقه – كما تؤكد نصوص أخرى – القريبين من مقر ابن العاص في الفسطاط، حيث يورد الناصري ما يلي:

" لما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واُستفتحت مدينة مصر – وكان عليها عمرو بن العاص– قدم عليه ستة نفر من البربر محلقين الرؤوس واللحى، فقال لهم عمرو: من أنتم؟ وما الذي جاء بكم!؟ قالوا رغبنا في الإسلام فجئنا له؛ لأن جدودنا قد أوصونا بذلك!. فوجههم عمرو (عمرو بن العاص، والي مصر) إلى عمر (عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين) رضي الله عنه، وكتب إليه بخبرهم، فلما قدموا عليه، وهم لا يعرفون لسان العرب، كلمهم الترجمان على لسان عمر فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو مازيغ ... فقال لهم عمر – رضي الله عنه – ما علامتكم في بلادكم؟. قالوا نكرم الخيل ونهين النساء ... " (الناصري، 1997، 1، 130)

ووقوفًا عند فقرة إهانة النساء، لا يبدو صائبًا في تقديري، تعميم هذا السلوك على جميع الساكنة البربر، وقياسًا بمقابلة الرواية الناصرية للنص الذي أورده المؤرخ المحلي: لوّاب بن سلاّم المزاتي [ت 273هـ/886م] وهو أحد أقدم مؤرخي الفترة الإسلامية في بلاد طرابلس برقة والمغرب قاطبة، لم أجد ما يشير إلى ذلك، خصوصًا وأن الروايتين متقاربتين إلى حد ما في بقية التفاصيل. (ابن سلّام، 1985، 147) والواقع أن المرأة المازيغية بدايات العصر الوسيط، أجد وضعها وكما أسلفت، في نواحي أوجيلا Augilae حيث المعابد التي أخبرنا بها بروكوبيوس القيصري، كانت تظهر بمثابة زعيمة دينية/كاهنة وعرّافة للقبائل المحلية التي كانت وثنية قبل الإسلام،

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

حتى أن قائد تجمعات قبائل نواحي خليج سرت الشهير: الزعيم كركاسان Carcasanque doctor والذي سجل ولو مؤقتا مجده العسكري في حرب البيزنطيين، كان قد سار إلى هذه الكاهنة وطلب نبوءتها بخصوص الحرب على مدن الساحل الغربي Tripolitanos /تريبوليتانوس، وصولا إلى الحاضرة الأكبر قرطاجة Carthaginienses، كما إن المجتمع البربري الذي قادته خلال الفتح الإسلامي مرأة بصفة زعيمة دينية وعسكرية، وأعني بها الملكة تيهيا/ديهيا Dihya لا يمكن له أن ينظر إلى المرأة نظرة إهانة أو انتقاص!. وعلاوة على هذا، فإن مجتمع التوارق على سبيل المثال، تعتلي فيه المرأة التارقية مكانة مميزة، بل وبارزة حيث كانت تعلن في بعض الفترات حتى عن بداية الحروب والغارات القبلية!. كما تتمتع المرأة في هذا المجتمع بقدر كبير من الحرية، إلى الحد الذي يصل بها إلى اختيار شريكها، أو فض الشراكة معه إذا أساء العشرة بها.

ثامنًا: مواقف النساء الليبيات بعد الإسلام:

لعله من المدهش حقا، والمثير للملاحظة أن نجد بأن ظاهرة خروج النساء البربريات ومن بينهن الجباليات، وراء المحاربين من الرجال في الحروب، قد استمرت حتى بعد الإسلام! وأجد لدى المؤرخ الشماخي في سيره؛ بأن شقيقة القاضي النفوسي: عمروس بن فتح المساكني النفوسي [تـ 283هـ/896م] قد أُخذت أسيرة في وقعة مانو ضد قوات بني الأغلب! وقد كانت عالمة مثل أخيها، وكانت في جماعة من النسوة! ممن حضرن الوقعة [سنة 283هـ/896م] قرب قصر مانو الواقع في ما بين طرابلس وقابس، وهي المعركة التي جرت بين الأباضيين في جبل نفوسة وبين الأغالبة السنيين في إفريقية، بقيادة: إبراهيم بن أحمد بن الأغلب، حاكم إمارة الأغالبة في القيروان، حيث تمدد الأغالبة بعد ذلك إلى إقليم طرابلس الغرب، وبحسب ما قيل، لقي نحو أربعمائة من العلماء، حتفهم في المعركة الشهيرة، ومن العامة اثنا عشر ألفًا. ويلفت النظر هنا استمرار تقاليد خروج النساء البربريات وراء الرجال في الحروب! في جماعة أو في عدة نساء كما قال المؤرخ المحلي الشماخي (الشماخي، 1987، 1، 195)، وكان من فطنة ونباهة أخت العمروس، أن أوصت جماعتها من النساء الأسيرات بأن تطلب كل واحدة الزواج من آسرها وعلى شرع الله وسنة نبيه، مخافة وقوع الفاحشة والفساد فيهن، أو تحويلهن إلى ذاعرات، فظاهرة انتهاك حرمات النساء، كانت حاصلة في الواقع بين بعض المسلمين رغم إسلامهم، وما وصية بنت المساكني، إلا شاهدًا على ذلك. يقول الفقيه الشهير: الشماخي؛ عن ابنة المساكني: " أُخذت أسيرة في عدة نساء، فخافت عليهن الفساد من الفساق، فأمرت أن تستخلف كل

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

واحدة على نفسها، من يزوجها لمن أرادها بسوء " (الشماخي، 1987، 1، 195) وهنا تظهر حكمة ونبوغ كبيرين لهذه المرأة النفوسية، ويظهر أيضًا مدى حرصها على أخواتها المسلمات من الفاحشة والسوء من بعض الرجال الفساق، وبصفة أن هذه الظاهرة كانت موجودة في جميع العصور، بما فيها الفترات الإسلامية المبكرة، فالمؤرخون يتحدثون بإجماع عن سطوة وفسق رجال ورفجومه، وهذه الأخيرة قبيلة بربرية بدوية تسكن البوادي الجنوب الشرقية لإفريقية/تونس الحالية. وأعتقد هي نفسها إحدى القبائل البدوية التي كانت تسبب المتاعب للقرطاجيين والبيزنطيين من موقعها المتنقل في مقاطعة Byzacio بيزاكيو/بيزاكيّ Byzacii وعرفت ورفجومه فيما بعد باسم ورغمّة/وريّمه، ولا تزال تعيش الآن بجنوب شرقي تونس، وتتداخل بعض أنسابها في مناطق الساحل الغربي لليبيا، ومعروف عن ورفجومة الشدة والبسالة، بصفتهم بدو أجلاف، وكان رجال هذه القبيلة يأتون إلى مدينة القيروان، وفي كل مرة يضعون أيديهم على امرأة تسير وحيدة في السوق، ويخرجون بها، ولا أحد من سكان المدينة يجرؤ على صدهم؛ لأنهم عصبة مسلحة، تهوى العنف والفاحشة. وكان هذا هو السبب الذي حمل الطرابلسيين على ردعهم، ودفعهم إلى تقرير محاربة ورفجومه، وتخليص أهل القيروان وعابري السبيل منهم. ويخبرنا المؤرخ المحلي: الدرجيني [600-670هـ /1204-1272م] بالقول: " وبلغنا أن امرأة من نساء القيروان كتبت بطاقة إلى الإمام أبي الخطاب رضى الله عنه، تشكو إليه جور ورفجومه، تقول فيما كتبت له: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن لي ابنة وقد بلغت في الخوف عليها من ورفجومه والحوطة عليها، أن حفرت حفرة تحت سريري! وصنتها فيها عنهم! خشية أن يفسدوها! كما فعلوا بأمثالها! فانظر إلينا والسلام. " (الدرجيني، 1974، 1، 26) وتفيدنا هذه الخبرية، بأن رجال ورفجومه كانوا يقومون باقتحام البيوت، ويكشفون الحرمات، ويفتشونها بحثًا عن البنات والفتيات العذارى، لفعل الفاحشة فيهن، أو لإخراجهن وأخذهن ليصبحن عاهرات لديهم. ويضيف الدرجيني بأن الرسالة وصلت إلى حضرة الإمام العادل أبي الخطاب المعافري، وهو يتوضأ، فقرأها وبكى، ثم نهض فصلى بالناس صلاة الجماعة، وأطلعهم على الأمر، ودعاهم للجهاد، وحثهم على الصبر وطلب السداد من الله، في مجابهة الفجار من ورفجومه. وتفيد رواية أخرى بأن السبب هو أن أحد الإباضين النفوسيين، كان قد دخل القيروان، فرأى جماعة من ورفجومه يهمّون بإخراج امرأة من القيروان، وهي تصيح أغيثوني معاشر المسلمين!! أغيثوني؟؟ والناس تنظر ولا أحد تمكن من فعل شيء، فقام هذا الرجل الأباضي بالتبليغ عن جور ورفجومه إلى مجلس الإمام أبي الخطاب في طرابلس، فأعلن الجهاد ضد ورفجومه بصفتهم مفسدين

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

في الأرض، حدث ذلك سنة 141 هجرية، والمعروف في المصادر النويري مثلا، وغيره أن ورفجومه حكمت القيروان، بناء على دعوة عبد الوارث بن حبيب الفهري، لمعاونته في الرجوع إلى حكم القيروان، عقب قيام ابن عمه حبيب بن عبدالرحمن الفهري، بقتل عمه إلياس، وتفرده بحكم مملكة القيروان خلال سنوات [138-140هـ/755-757م]. الأمر الذي أدى إلى اصطدم حبيب الفهري بمحاربي ورفجومه، فانهزم أمامهم، وهرب حتى وصل جبل نفوسه، ودخل أفراد القبيلة الورفجومية، مملكة القيروان. وقام أفرادها بارتكاب مذابح في المدينة، حيث قتلوا كل من وجدوا بها من العرب البلديين/القرشيين، وأساؤوا السيرة في أهلها، لذلك فإن اغتصاب نساء القيروان، كان يجري من ذاك المنطلق، خصوصًا وأن قبائل ورفجومه صفرية المذهب، عليه كانت تكفّر بقية المسلمين، وتستحل دمهم وتستحي نساءهم.

تاسعًا: انخراط المرأة الليبية في الفقه والذكر والتعبد بعد الإسلام:

لم تكن الاختلافات الجوهرية في أيديولوجية الأنثى/المرأة البربرية الوثنية، ونظيرتها المرأة البربرية المسلمة فيما بعد، تفضي إلى تعارض كبير في التصورات والأنماط، حيث استمرت نفس الطبائع والتقاليد البربرية حيال مصاحبة النساء للرجال في ساحات المعارك، واللافت للنظر أن المرأة المحلية/النفوسية على نحو خاصٍ، كانت قد ارتقت في العلم في ذاك العصر المبكر. وقياسًا بالصعوبة العلمية التي تعترض كثير من بحاث أمهات المصادر، فإن الكتابات(لأعمال-الدراسات) حول الوضع العلمي للمرأة المحلية، تظل ضئيلة، وقد صادفني أن أحد الباحثين المغاربة، قد أنجز بحثًا حول مكانة المرأة النفوسية في العلم، فقد ركز في استعراضه هذه المكانة بثلاث ورقات، قُدمت ضمن البحث في أعمال ندوة جامعية مغربية، تحت إطار: " تاريخ النساء المغاربيات: الإقصاء وردات الفعل ". (بوبة، 1997، 56).

من جانب آخر؛ يمكن ملاحظة وجود مساجد حملت في جبل نفوسه أسماء نسوة متعبدات! من بين هذه المساجد: جامع اللالة معيوفة، وجامع اللالة سليمة، وتالا ومارن وزورغ ومنرو، وهي ظاهرة تفيد بتفرد المرأة المحلية خصوصًا بالجبل في شأن الزهد والتعبد، ويخبرنا الشيخ النفوسي البغطوري، الذي أنهى كتابه سنة [599هـ/1203م] وتوفي بعد ذلك، بأن أبي ميمون الجيطالي، الذي توفي سنة [283-896م] قد أصبحت امرأته وداره بعد وفاته كهفًا للإسلام ومأوى للأخيار، وكان العزابة يجتمعون عند أم يحيى أرملة الجيطالي، كل ليلة جمعة، يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة. (البغطوري، 2017، 158). وهذا يدل بوضوح على المكانة المميزة والسامية للمرأة الأهلية، ووضعيتها المساوية لدور الرجل

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

في التعلم ونشر التعليم، وهي مكانة بلغتها المرأة المحلية/النفوسية؛ في ذاك العصر، وظهر من خلالها جيلًا أو طبقة من النساء العالمات الصالحات، مثل أم يحيى أرملة الجيطالي، وأم الخطاب، وبهلولة زوجة أبان بن وسيم الويغوي، التي كان لها مجلسًا للذكر قبل حتى زواجها. (البغطوري، 2017، 320). ولعل انخراط المرأة الليبية في الذكر الجماعي جاء كما أرى من باب التنويه القرآني بعظمة أجر ومنزلة كل ذاكر متذاكر لآيات، وحكم ومواعظ، وأوامر، ونواهي، وسنن الله سبحانه، ولا يفوتنا وجود هذا النص القرآني، الداعي إلى ما فات بقوله تعالى:﴿والذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ* أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾. (التنزيل الحكيم، الأحزاب، 35) وتحت هذا الظرف القرآني ظهر كما يبدو لي جيلًا من النسوة الذاكرات الصالحات، وتوضح هذه المناشط أيضًا، المسؤولية والتصرف اللذين كانت عليهما المرأة الجبالية، الأمر الذي وصل حد المسؤولية في استقبال الرجال المتذاكرين بالقرآن الكريم، والمشتغلين بالذكر، مما يعني أن بعض النساء وحتى الأرامل منهن كنَّ قد بلغن من المسؤولية والرشد، حد التصرف باستقبال القرّاء/الرجال، في دارهن/بيوتهن.

وفضلا عن من قمت بذكرهن/تسميتهن؛ هناك أم الربيع الوريورية، وجميعهن من صالحات القرن الثالث الهجري، أي من النسوة اللواتي نشطن خلال فترة ازدهار الإمارة الرستمية، وكان لبعضهن أقوال مأثورة/شهيرة مثل: أم زيد، وأم زعرور، التي اشتهر من قولها: " من فاتته ثلاثة، فقد فاته خير الدنيا والأخرة: من فاته الحرث، وحضور مجالس الذكر، وجماعة الأخيار". (البغطوري، 2017، 358). ولا تفوتني عجوز تميدلت التي أوصت ابنتها عند زواجها؛ بما يجب أن تفعل في الزينة، والحناء، والاغتسال (البغطوري، 2017، 358). وغير ذلك من الحاجيات والواجبات بعد زواجها. ويؤكد هذا النص وعي المرأة المبكر في بلادنا بشؤون الدنيا والدين، ومتطلبات الحياة الزوجية، من اغتسال وخلافه، واهتمامها في الوقت ذاته بالزينة، ولعلها قد أوصت ابنتها بأن ترتدي الأقـــــراط الفضيـــــة المصنوعة من الفجـــــرة، وهي التي تعلق حول الأذنين، مع ارتداء الخلخـــــال حول كـــاحلي القدمين، وربما الأخـــــراص حول الأنـــف، وغيرها من التقاليد الليبية، علاوة على استعمال الكُحـــــل والوشـــم الجسدي كزينـــــة، وتستحضرني في هذا شهادة الجغرافي الفراتي: محمد بن حوقـــــل النصيبيني [تـ 367هـ/977م] حول أهميـــــة الكُحل النفوسية، التي يأتي بها تجار نفوسه إلى مرفأ طرابلس؛ للمتاجرة بها في المراكب التي تحط ليلًا ونهارًا من بلد الروم وأرض المغرب. (ابن حوقل، 1992، 71).

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

ولدي أخيرًا أم الخطاب، وهي واحدة من صالحات ذاك العصر المبكر، فقد كانت وكما أجد عند البغطوري؛ نصرانية، وأعتقد بأن أهلها هم من بقايا العائلات الرومية أو الفاندالية، أو لعلهم من بقايا نصارى نفوسة، وقد تزوجها لجمالها الشيخ أبو يحيى ازدالي، حيث طلبها من أبيها، واشترط عليها بعد أن دخل بها أن تعتنق الإسلام، فأسلمت وحسُن إسلامها، وسمعت وحفظت حتى أتقنت قراءة سور من القرآن الكريم كما يخبرنا البغطوري، وهذا يفيد بأن مسيحي نفوسة – وإن صاروا أقلية في ذاك الوقت– إلا أنهم كانوا قد تعلموا حتى العربية، وإن كانت حفظًا من بضع سور من القرآن الكريم، فضلًا عن درايتهم باللسان البربري بصفته لغة القوم، كما كانوا يتكلمون اللاتينية أيضًا بصفتها لغة المسيحية، ثم وشيء من العربية القرآنية، وهي لغة الإسلام، ولسان النظام المؤسساتي الجديد، وكما يقول البغطوري، فإنها وبعد إسلامها، وسماعها للقرآن في بيت زوجها الشيخ أبو يحيى ازدالي: " قالت لزوجها أتسمح لي أن أقرأ عليك؟ فأنصت لها، فقرأت عليه البقـــرة وآل عمـــران، فقال لها: ما هذه قراءة أهل الأرض يا فلانة! إنما هذه قراءة أهل الدعاء!." (البغطوري، 2014، 152).

النتائج

1- نستنتج مما تقدم أن المرأة الليبية في الفترات الوثنية الأسبق كانت تمارس الزواج مع عدة رجال، ومع بدايات العصر الوسيط بدأت ظاهرة الزواج المشاع– غير المنظم؛ تختفي كظاهرة مجتمعية بين عدد من القبائل الليبية، حيث بات للنساء زوج محدد.

2- لم تسعفني المصادر في العثور على ما يفيد بطقوس الزواج وما يرتبط بالمرأة من جوانب أخرى عائلية، لأسباب معلومة حيال صعوبة رصد وتحقيق حياة النساء تاريخيًا، سيما في بلادنا بالفترة المفصلية المذكورة، وطرق هذا الباب المغلق– الصعب عموما أفضل من السكوت عنه.

3- إن المعتقدات الوثنية حيال العرافة والتنجيم أظهرت منذ القرن 5م على الأقل؛ بروز المرأة الليبية في أداء الدور الميثولوجي بصفة كاهنة أو زعيمة دينية، تزعم قيادة مجتمعها روحيًا، مع إدعائها التنبؤ بالنتائج السوسيولوجية والعسكرية.

4- مع بدايات دخول الإسلام خلال القرن 7م كانت لا تزال المرأة البربرية/الأمازيغية، تمارس نفس الدور القيادي الذي مارسته قبل الإسلام، وهو ما تبين من خلال شخصية تيهيا ماتيا Tehya Matia التي دعاها العرب باسم الداهية.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

5- طوال مائة سنة من التجربة والخطأ، تظهر الصفة المشتركة بين الفئات القبلية في ليبيا، أنها تورطت جميعها وتحت مختلف الظروف في قهر حياة المرأة المحلية، التي كانت تتبع الرجال الرحّل في مأواهم ومأكلهم وحتى في حروبهم! لم يكن للمرأة ثمة خيار آخر؛ لأن معظم القبائل البربرية في ليبيا كانت بدوية لا مسكن ولا مدينة لها، وبالتالي كانت القبائل مجبرة على جر نسائها، وعيالها، وممتلكاتها ورائها.

6- وعلى صعيد ميداني، تبين أن النساء كن يسرن خلف الرجال في السلم والحرب معا، ظاهرة مجتمعية فرضتها أساليب الحياة البدوية لعدد واضح من قبائل البربر، نجم عن ذلك ذهاب النسوة، والفتيات، والأطفال غنائم في يد الخصوم الروم البيزنطيين، وكانت النتائج صادمة عائليًا وجماعيًا.

7- من خلال البحث تبين استمرار ظاهرة خروج النساء خلف الرجال في ميادين القتال حتى بعد الإسلام، بعد أكثر من قرنين هجريين، عندما وقعت معركة قصر مانو الواقع في ما بين طرابلس وقابس، وهي المعركة التي جرت بين الأباضيين في جبل نفوسة وبين الأغالبة السنيين في إفريقية، سنة [283هـ/896م]، نجم عن ذلك أيضًا حدوث نفس النتائج المتعلقة بتأسر النساء.

8- خلال نفس الفترة من القرون الأولى للإسلام، تفردَّت المرأة النفوسية – الأباضية – كما يبدو على وجه خاص في ظل غياب المعلومات عن نساء بقية المناطق – بظاهرة التعبد في سياق حضور حلقات ومجالس الذكر، ولا ينذر أن بعضهن قد أتقن فنون القراءة، والتجويد، والترتيل، تماما كما فعلت أم الخطاب، وهي ظاهرة تبين انهماك عدد من النساء في مجال الوعي الديني ذكرًا، وزهدًا، وتعبدًا.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر والمراجع المكتوبة بالعربية

1- التنزيل الحكيم، (2022) ***مصحف الأوقاف الليبية***، برواية الإمام قالون عن شيخه نافع، طرابلس، منشورات الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية.

2- البغطوري، مقرين بن محمد، (2014) ***سيرة مشايخ نفوسة***، تحقيق: توفيق الشقروني، د.م، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية.

3- البغطوري، مقرين بن محمد، (2017) ***روايات الأشياخ – أشياخ جبل نفوسه***، تحقيق: عمر بن لقمان، سلطنة عمان، منشورات خزائن الأثار.

4- بلينيوس الأكبر، غايوس، (1975) ***التاريخ الطبيعي***، ترجمة: علي فهمي خشيم، طرابلس، دار الفكر، ط 2.

5- بليني الأكبر، غايوس، (2019) ***الكتاب الخامس من التاريخ الطبيعي – وصف أفريقيا ومصر وغرب آسيا***، ترجمة: محمد الدويب، طرابلس، منشورات مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية بوزارة التعليم، ط 2.

6- بوبة، مجاني، (1997) ***دور المرأة في الحركة العلمية بجبل نفوسة من القرن 3-6هـ إلى القرن 9-12م*** قراءة أولية لمخطوط آباضي من القرن 6هـ/12م، المغرب، أعمال ندوة: تاريخ النساء المغاربيات: الإقصاء وردات الفعل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة.

7- ابن حوقل، أبي القاسم محمد، (1992) ***صورة الأرض***، بيروت، مكتبة الحياة.

8- ابن سلاّم، لؤاب المزاتي، (1985) ***تاريخ ابن سلام***، تحقيق: شفارتز وسالم بن يعقوب، بيروت، دار اقرأ.

9- ابن عذاري، أحمد بن محمد، (د.ت) البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، كتاب إلكتروني، PDF من إنشاء مكتبة المصطفى الإسلامية to PDF: www.al-mostafa.com

10- الدرجيني، أحمد بن سعيد، (1974) ***طبقات المشايخ بالمغرب***، تحقيق: إبراهيم طلاي، البليدة الجزائر، د.ن، ج 1.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

11-الشماخي، أحمد بن سعيد، (1987) ***السير***، تحقيق: أحمد السيابي، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ج1.

12-عبيش، يوسف، (2007) ***الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبلاد المغرب أثناء الاحتلال البيزنطي***، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، قسنطينة، جامعة منتوري.

13-القيرواني، إبراهيم بن الرقيق، (1990) ***تاريخ إفريقية والمغرب***، تحقيق: عبدالله الزيدان وعز الدين موسى، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

14-الناصري، أحمد بن خالد، (1997) ***الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى***، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ج 1.

15-هيرودوتس، ليكسيس هاليكارناسوس، (2001) ***تمحيص وإثبات الأخبار- تاريخ هيرودوتس***، ترجمة: عبد الإله الملاح، أبوظبي، المجمع الثقافي.

16-هيرودوتس، ليكسيس هاليكارناسوس، (2003) ***الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتس***، ترجمة: محمد الذويب، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس.

ثانيا: المصادر والمراجع المكتوبة باللغات اللاتينية

1- Corippi, Flavii, (1820) ***Iohannidos – Sev De Bellis Libycis***, Ex Codice, Mediolani, Mediolanensi Mvsei Trivvltii.

2- Evagrius, (N.D) ***The Ecclesiastical – History of the Church***, London, Samuel Bagster.

3- Halicarnassus, Hērodotos, (1806) ***Historia***, Vol. Iii, Translated From the Greek, With Notes, By William Beloe, London, Printed By Luke Hansard.

4- Maurice, Flavius, (1984) ***Maurice's Strategikon***, Handbook Of Byzantine Military Strategy, Philadelphia, University Of Pennsylvania Press.

5- Plinius Secundus, Gaius, (1961) ***Natural History***, London, Harvard University Press, William Heinemann Ltd.

2Scientific Journal of Faculty of Education, Misurata University-Libya, No26, Mar 2025
Published online in March
المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا -العدد السادس والعشرون، مارس 2025
Issn: 2710-4141
تاريخ الاستلام:2024/11/01 تاريخ النشر:2025/01/06

6- Procopius Of Caesarea. (1962) ***History of The Wars – The Vandalic War***, London, William Heinemann Ltd, Harvard University Press.

7- Confessor, Theophanes, (1997) ***The Chronicle of Theophanes Confessor***, Byzantine and Near Eastern History Ad 284-813, Oxford, New York, C L A R E N D O N Press.